قيمة الأعراس النفس اجتماعية بين التراث الثقافي اللامادي وتحديات العولمة دراسة وصفية للعرس التقليدي بمنطقة شلالة العذاورة. (المدية)

د. خيرة بودرقة أستاذة محاضـرة قسم" أ "

تخصص: علم النفس الاجتماعي. جامعة يحي فارس المدية الجزائر.

البريد الإلكتروني:kboudergua@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:20-08-2019 تاريخ القبول:29-09-2019 تاريخ النشر:15-09-2019

ملخص الدراسة:

هدفت الدّراسة الحالية إلى الكشف عن مستوى تأرجح قيمة الأعراس كموروث نفسي ثقافي واجتماعي مشبع بالعادات والتقاليد الإنسانية ومزخرف بفنون وطقوس متفرّدة في نوعها وبهجتها. ويتأسس هذا التراث الفني والاجتماعي على قيّمٍ وخلفيات تاريخية وفكرية متماسكة ترجع إلى ثقافة عميقة مستمدة من الأزمنة الماضية. فالعرس في نظر المقبلين عليه والقائمين به يحمل دلالات العراقة للنيل من الشجرة المباركة، ذات الأغصان الظليلة والفيّ البارد والهواء المنعش والثمار الطيّبة. فالعرس لا يحمل قيمه فيما يبذل للوصول إلى تأسيس الأسرة النووية أو العلاقة الثنائية بين الزوج وزوجه، بل العرس له مرامي وأهداف أعمق من هذه وتلك ممّا يرجى بلوغه بعد عهدٍ من الزمن. لذا يسقى بالصبر والتأمل والتفكير الرشيد والتشاور العميق بين أهل الحكمة والتجربة. والعرس في المفهوم التقليدي ليس عقد قران بين شخصين، أو فردين فحسب، وإنّما هو عقد مبرم بين جماعتين متراضيتين على حكمة وعزيمة دائمة لا تنفك عراها إلا إذا حدث الميؤوس منه في بعض الأمور. والعرس في مدلوله النفسي والاجتماعي يرسم الخط التواصل بين الأجيال للحفاظ على مراكز القوّة والبقاء والحماية النفس اجتماعية وهو أيضا لإثبات المكانة والدور الاجتماعيين وفيه نوع من الحصانة للفرد والجماعة مما قد تعترضهما من التحديات المادية والمعنوية.

الكلمات المفتاحية: القيم النفس اجتماعية، الأعراس، التراث الثقافي اللامادي، تحدِّيات العولمة، شلالة العذاورة.

Abstract:

This study aimed to revealed the level of marriage value between a social self-culture inherited saturated by customs and tradition in **Chellalet eladaoura** region, decorated with arts and individual rituals, belongs into a connected deep history background, the symbol of marriage is not only respect and dual relation between husband and wife, it is a contract between two linked groups of wisdom and the continuous determination, its psychological and social meaning draws a connection line of generations between them to maintain the centers of power and stay to protect the social self-that's prove the position and the social role type of immunity for the individual and the community that maybe faced by material and spiritual challenges.

Keys word:
Value of the psychological social marriage, culture inherited globalization challenges. Chellalet eladaoura.

– مقدمة:

اقترن الزواج بالأعراس وهي عادات بشرية جدّ قديمة، ترتبط بطبيعة العلاقة بين الفرد والشعب وموروثه وثرائه الفكري والنفسي والثقافي والإنساني الذي يصنع الشخصية المادية والمعنوية المتميّزة عن كلّ الشخصيات الأخرى في العالم. وذاك ما يجعل انتماء أفراده وجماعاته مشبعٌ باتجاهات محدّدة وقيّمٍ خاصّة، ويجعل كذلك أفكاره وعواطفه وأحاسيسه مليئة بالمعتقدات الأصيلة في جميع جوانبها مهما كانت التحولات والتحديات والتفاعلات المغرية والضغوطات التي تحملها الأزمنة الجديدة أو المتناقضة إليه أو تحملها الأسفار والتغيّرات التي تفرضها ظواهر العصر ومظاهره وصعوباته. فتبقى خصائص المجتمع الدينية والثقافية دوما معطرة للأنفاس بسيرهم وبمسك وعنبر أزمنة الأجداد ورآهم الفكرية والفلسفية. وتستمد منها الأجيال اللاحقة أسس أفراحهم وأنظمتها المرتبة بقواعد الماضي العتيق في كلّ أفعالهم ومناسباتهم. فمهما كان الجنس والعمر والتجربة والمحن التي قد يمرّ بها الأحفاد، إلاّ أنّهم أبدا لا يستغنون عن تلك اللمسات وما ستخلصون منها للعود إلى زرع تلك الروح وذلك التراث في

الحياة. ويبقى العرس له طقوس معنوية وإن تغيّر في مظاهره، وتبقى أرواح الأبناء والأحفاد دوما تتلقف منه بعزيمة ذلك الماضي وتسترجعه في كلّ عيدٍ وفي كلّ فرحٍ وفي كلّ موسمٍ وتستقبله أنفسهم بالأهازيج. فالأعراس هي الأخرى تتأثر تنبني على ترتيبات وتنظيمات التي تخضع بدورها إلى تحولات اقتصادية والاجتماعية ودينية وقانونية تتحكم في إجراءات للقيام بها. لكنّها أبدا لا تتخلى عن عبق معاني وعادات معيّنة في مناطق الجزائر وبالذات في شلالة العذاورة. فالعرس في المفهوم الثقافي والنفسي والاجتماعي هناك وفي كلّ مكانٍ من الجزائر هو سوق مربحة يحظى فيها الكبار بالمكانة والتقدير الاجتماعيين العاليين وبالكلمة المسموعة وإبداء الرأي في عقد أيّ قرانٍ فيكسبه الوقار بتدبيرهم والشرف بحضورهم. ففيه يبدي الصغار السمع والطاعة والولاء. بينما ينال الكبار فيه الاعتبار وأوسمة الاستحقاق على محافظتهم على ذلك الموروث الثقافي وذلك الميثاق الغليظ وتلك الرابطة المقدسة التي يحوّلونها بأمانة إلى الأبناء جيلا عن جيلٍ. فمناسبة العرس هي فرصة للبرهنة على نيل الثقة والاطمئنان النفسي والقبول الاجتماعي للخوض بعد ذلك في أغوار المسؤولية المترتبة على أيّ بناء اجتماعي ثقافي متميّزٍ بين الأنثى والذكر في استئناسهما، على اختلاف ما تعرفه ظاهرة الزواج. فهذه العادات والتقاليد هي ما يميّز البعض عن البعض الآخر وهي أيضا ما يقوّي اللحم ويغذي الأنساب بين أبناء الجهة الواحدة أو الجهات المتقاربة وكذا بين الأجيال المتعاقبة في البقعة ما وفي الوطن الواحد. والذي قد يجمعها أو يفرّقها هي حكايات يغزل وينسج خيوطها الأجداد ويمدّ في حكيها الأبناء والأحفاد على منوال ووجهة يحافظون فيها على الهوية الذاتية والجماعية في أسلوب حضاري متفردٍ ومتميّز ويتمسكون به في الإحساس والشعور والرسم واللون والغذاء واللباس وفي الأمل والطموح وحتى في الذوق الفنّي والجمالي ويحيطون كلّ ذلك بهالة من الخوف والحذر حتى لا تغمرها التيارات الدخيلة والتقدم الحضاري.

(أديب أبي ضاهر، 1993، ص 113)

1- إشكالية الدراسة:

تشهد التجليات الاجتماعية والعالمية الحديثة تحولات سريعة وخارقة لكلّ القيّم التي تشكل الصورة الحقيقية والواقعية والأنثروبولوجية والنفس اجتماعية للمجتمع الذي يسعى نحو النموٍ ويتحرّك اتجاه التطورّ مخترقا بذلك كلّ العادات الشعبية والتقاليد الإنسانية فيه، التي تخضع لتطورات متعارف عليها في المجتمع والتي تمرّ بمراحل محدّدة ومعروفة والتي تتمثل في الخطبة، والتمليك، والزواج.

(ملكة يوسف زرار، ص 82)

لكن الاكتساح والتمرّد الثقافي للعولمة الذي يسعى نحو المزج بين كلّ الثقافات البشرية بلا قيود وبتحدّياتها العاملة على التدويل الثقافي التي ليست لنا القدرة ولا إمكانات التمسك بقيّمنا وأهدافنا الإنسانية القبلية المميّزة لنا أمام سرعة الاغتصاب الإلكتروني المفروض ماديا ومعنويا وإعلاميا عن واقعنا الأصيل. مما يجعل مجتمعاتنا التي ليست تملك الوسائل التي بها تدافع جاهدة لتفعّل موروثها الثقافي بتلك الطرق والأساليب البطيئة المعتاد عليها، بقصد المحافظة على طابعها الذاتي والحضاري. فالمجتمع الدوّلي بتوجهه التكنولوجي يعمل بقوّةٍ وفي كلّ الاتجاهات خاصة النفسية والاجتماعية منها التي تكتسح ثقافته الفردانية عن طريق وسائل الاتصال والإعلام كلّ المساحات الجغرافية والفكرية والسلوكية المنافية للأهداف والعادات والتقاليد الراسخة لدى الشباب والشعوب الضعيفة تكنولوجيا وصناعيا واقتصاديا. فتلك الخصائص أصبحت تقف كحواجز وعقبات تترصدّ وتتصدى لتلك التغيّرات أو تحديات العولمة بأشكالٍ متعدّدة، خاصة التي تمس الجوانب الهوية والثقافة النفس الاجتماعية.

(محمد أحمد السامرائي، ص 118)

مما دفعنا إلى استهلاك كلّ ما ينتجون وهم يستهلكوننا كقيّم إنسانية واجتماعية ذات خصائص متميّزة عنهم فنمنحهم ثقافة الراحة والتأمل كثقافة خالية

من الاصطدامات الآلية والتكنولوجية. فثقافة الأعراس والزواج وطبيعة بناء الأسرة هي صوّرٌ ثقافية لا تزال عميقة تستند على قيّم روحية ونفس اجتماعية بسيطة متميّزة بأبعاد إنسانية جليلة تفوق أو تسبق كلّ تطور اقتصادي مهما كانت بصماته وصوّره وأهدافه. لذا نجد أنّ المجتمعات التكنولوجية قد وضعت هذه أمام الإسراف والاستهلاك المادي وتحرص على اقتلاع قيمة الأعراس وثقافتها من جذورها لما فيها من روابط أسرية ووجدانية واجتماعية ولما تتميّز به من أنماط التماسك والتفاعل النفسي والاجتماعي. فهي ترى أن تغيير هذا المنظور أو غيره من مجالات الثقافة التقليدية عناصر مضادة لأهدافها الريادية لا يمكنها معها تحويله أو تغييره أو القضاء عليه لأنّه المؤسس الطبيعي لوجود النوع الإنساني. لذا تسعى لتعوّضه بسياسات واستراتيجيات تقفز بالإنسان وبالمجتمع وحضاراته إلى ما تمليه مجتمعاتها ذات الاتجاهات الأحادية والفردانية المبنية على منطق المادة والفرد لذاته والقوّة والبقاء للأقوى. فضبطت حركة واتجاه كلّ الثقافات التقليدية المتشبثة بما يمتّ بقوّة الصلة إلى ماضيها من دينٍ ولغة وأسرة وعلاقات اجتماعية وفنون وثقافة اللباس وما ينجم عنها من علاقات إنسانية وكلّ ما يتعلّق بها من أنواع التراث المادي أو لا مادي لتقتلع الشعوب من خصائصها وانتماءاتها تلك وتجعلها تتحرك على إيقاعاتها وفي اتجاهاتها هي من يرسم خرائطه ولا تهمها كلّ تلك القيّم الناتجة عن الأزمنة الماضي والإنسان عبر التاريخ. وهي تسعى جاهدة عن طريق التكنولوجيا ورؤوس الأموال والتفكير المادي المحض إلى التحرر من قيود الأسرة والروابط الأخلاقية بوضعه ودفعه إلى اتباع استراتيجيات تمنحها الريادة التكنولوجية لتجعل من كلّ تلك التراكمات للثقافات التقليدية تنساق في مجتمع تريده أن يتجاوز العقل الآخر وزمن المستقبل بعد أن استنفذت من الشعوب الضعيفة التي كانت ضحيتها طيلة قرونٍ مضت من الزمن ولا تزال تعاني من تلك الآثار. وبعد أنّ حوّلت كلّ قواها الأساسية والكثير من خيراتها وطاقاتها نحو مراكز التوجيه والتسيير بفعل السيطرة الاستعمارية التي حكمت بكلّ

إرادتها مصير الأوطان والشعوب التي صارت اليوم مغلوبة على أمرها. تغيّر العالم وتغيّرت معه حياة الإنسان المسلم في السلوك وطغت المادة على معايير الروح والأخلاق ومسّ الثقافة التي أشبعتها مظاهر الانحراف والانحلال بالفساد الثقافي والنفسي والاجتماعي الموجه نحو الشباب. (**فرحان إسحاق أحمد، 1999، ص 17**)

وبالتالي صار لزاما علينا أن نطرح تساؤلات كثيرة ومتعددة منها:

– هل المجتمع الأقوى هو ذاك المجتمع الذي يتمسك بقيمه الثقافية اللاّمادية وبعاداته الاجتماعية؟

– أم هو ذاك المجتمع الذي يتبع تيارات الحداثة والعولمة الثقافية لكيلا يتعرض للدمار المادي؟

2– أهداف الدراسة:

– التعرف على مفهوم قيمة ثقافة الأعراس وأبرز خصائصها الاجتماعية.

– التعرف على قيمة العرس من الناحية النفسية والاجتماعية والقيمة التراثية لهذه الظاهرة.

– التعرف على تحديات ثقافة الأعراس في الردّ على ما يمكن أن يتصدى لها.

– التعرف على مقومات هذا النوع من الثقافات ودوره في المحافظة على الهوية الذاتية والاجتماعية.

3– أهمية الدراسة:

تتمثل أهميتها في الكشف عن جملة من النقاط نسرد بعضا منها في هذا السياق لتوضيح قيمة الاستناد إلى مقومات الشخصية السابقة الفردية أو الجماعية في بناء اللاحقة لتحصين الشخصية الثقافية العامة مما يمكن أن يهددها من التيارات الواردة من مختلف الثقافات المعاصرة، خاصة ممن يتحدى بقصد أو بدون قصدٍ طمس الهوية بما تنشره من إغراءات مادية ومعنوية لا تفتأ أن تزول بعد احيانٍ متلاحقة قد تلهي المتتبعين عن الخصائص الثقافة الأمم المتميّزة بالصلابة والديمومة.

– تكمن قيمة هذه الدراسة في إبراز قيمة الأعراس **كقيمة لها** في توجيه الانتباه إلى الأثر النفسي والاجتماعي الذي يمكن أن تتركه هذه المناسبات **شخصية** المادية والمعنوية لدى كلّ من الأفراد والجماعات وكذا في ثقافة للأمة من خلال المحافظة على موروثها النفسي والاجتماعي.

– عادات الأعراس وتراثها بجميع طقوسها المادية واللامادية تكوّن موروثا ثقافي ذو أهمية بالغة بالنسبة للأفراد والجماعات. فهي تحمل الكثير من الخصائص السيكولوجية وتحافظ على سيرورتها وبقائها عبر الزمن، وتشكّل هذه العناصر مصادر قوّية ودوافع محفِّزة للتعايش وتحقيق الأمن والسلام بين الأفراد والجماعات الذين تربطهم روابط الزواج وما يترتّبُ عنها من القرابة وصلات الرحم.

– الأعراس نشاط اجتماعي محدد الهدف والطريقة والشروط لا يمكن الخروج عنها أو التخلي عنها مهما كانت متطلبات الحداثة والحياة المعاصرة.

– أهمية الدراسة تكمن في محاولة رفع الحجب عن بعض التي كانت تمثل عبر الزمن أقطابا علمية أو عسكرية سخرّها الاحتلال الاستعمار لفترات زمنية طويلة لخدمة مصالحه وأهدافه آن ذلك.

– إعطاء الاعتبار للمدينة ولو من خلال استنطاق من خلال إيقاظ الملكات الاجتماعية ديناميات الأفراد الفكرية والسلوكية المتداول بينهم في الحياة اليومية.

4– منهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي بحكم أنّه الأنسب لمثل هذه الدراسات التي تحتاج إلى استنطاق الأحداث أو إعطائها الفرصة للتعبير عن نفسها من خلال الملاحظة وجمع الحقائق والشواهد والآراء والوقائع وحسب اختلاف الوضعيات أو تشابهها بشكلٍ عامٍ أو بشكلٍ خاص ومحدّد.

5- مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

1. الأعراس تعريفها لغة:

مفردها عرس، عرس عن الشيء تعني عدلَ عنه. وعرس البعير شدّ عنقه مع يديه وهو بارك فهو عارس وعراس. وعرس فلان عرسا أي بطر ودهش ولزم القتال فلم يبرحه. ويقال عرس الشرّ بينهم أي لزم ودام. ويقال عرس الصبيّ بأمّه. وتعرّس الرجل لامرأته أي تحبَّبَ وتودّد إليها.

والعريس هو الشجر الملتف الغصون والأوراق فيكون بذلك مأوى للأسد. والعريس أو الزوج ويقال هو عريسها وهي عروسه وهما عريسان جمعها أعراس.

(إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وآخرون، (دون سنة) المعجم الوسيط، ص 690)

الأعراس تعريفها الاصطلاحي:

قد تعني كلمة الأعراس في مقامنا هذا أنّ كلّ من العروس والعريس يصيران ملازمين لبعضهما بعد الرباط الزواجي ويصبح كلاّ منهما راعيا وحاميا وحريصا على الطرف الآخر. وقد يرتبط معنى الكلمة بما يحفّ بالعريسين من الأهل والأحباب والأصدقاء في احتفائهما وسعادتهما بذاك اللقاء وتلك الرابطة الزوجية.

3. تعريف التراث لغةً:

هو مصدر من الفعل ورث يرثُ إرثا تراثا أو ميراثا. وهو ما يخلفه أو يتركه الرجل المتوفى لبنيه وأهله، ويقال ورْث وإرثٌ وميراثٌ وتراثٌ. أو هو المال علم ينتفع به أو غيره مما ينتقل بعد وفاة الشخص إلى ذويه. والكلمة في اللاتينية Trasditio أو Héritage وتعني ميراث أو تراث. وجاءت العبارة نفسها في سورة الفجر الآية 19. (وتأكلون التراث أكلا لماً) صدق الله العظيم.

2- تعريف التراث الثقافي اصطلاحا:

وعليه فهو كلّ ما وصلنا من عادات وتقاليد وأعراف تتميّز بها الأعراس في منطقة شلالة العذاورة، كمنطقة تتسم بالطابع الريفي الممزوج بالبداوة له خصائصه

الثابتة عبر الحقب الزمنية الماضية، من حيث الشروط الزواج والمهر وطبيعة العائلات المتناسبة وإمكانياتها الاقتصادية وظروف معيشتها.

ونقصد بذلك التراث الثقافي كلّ ما تعلّق بالأعراس كتراث ثقافي لامادي الذي يرتبط بخصائص وقيّم ودلالات وطقوس نفسية واجتماعية يحملها الفرد وتتميّز بها الجماعة عن باقي الجماعات داخليا وخارجيا وحسب ما يتركه من آثارٍ تنعكس على الفرد بالسعادة والاستقرار برغبة في الكشف عن تحولاته الظاهرية والجوهرية بفعل تحديات العولمة له بأنماطها الثقافية والتي غيّرت وجه العالم كلّه وليس الأعراس فحسب. فالأعراس اليوم تتوشّح بالكثير من ألوان البذخ والتبذير وغلاء المهور وغيره من الصوّر التي قد لا تتوافق وصورّ وأهداف العرس بمنظوره التقليدي والاجتماعي والقدرة المادية والمعنوية للفرد والجماعة معا.

– التراث الثقافي:

هو واحدٌ من أشكال الثقافة التي تعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور ويتناقلها المجتمع من فردٍ لآخر ومن جيل إلى آخر ويصمد بين فترات زمنية متميّزة ومتفاوتة نوعا وبيئة، وتظهر عليه التغيّرات الثقافية والداخلية والعادات، ويتميّز بالشمولية والاتساق الرائع بكلّ ما يحضّر له في كلّ بيتٍ وخلال كلّ موسم الذي نخصّه بالأطعمة والألبسة وكلّ آليات الزينة وقدسية الثقافة الروحية المملوءة بالاحترام والحبّ الضمني في كلّ العلاقات الفوقية والأفقية بين أفراد العائلة المقربين والعامة التي قد يلتحم في القلوب بقوة دون التعبير عنها لفظيا لكنّه يحتفظ دائما بالوحدة الأساسية والمستمرّة بين أفراد الأسرة والمجتمع. وينقسم التراث إلى عدّة أقسامٍ هي على التوالي:

– التراث الثقافي المادي:

وقد يتمثل في المنحوتات والمباني الأثرية وبقايا المدن الأثرية والمعالم الحصون والمدافن وما تكشف عنه الحفريات وما تضمه المتاحف الممثلة لعصورها وملوكها. والمصنوعة

من مواد مختلفة وثمينة ومنها الثابت والمنقول كالنقود والأدوات ذات الاستعمال اليومي لدى الطبقات المخلفة. ويتضمّن التراث الثقافي كذلك كلّ ما له علاقة بالفنون العمرانية والزخرف والصناعة التقليدية وأدوات الزينة مما يجعل دوما بني البشر متواصلين متلاحمين ومختلفون في نفس الوقت.

– التراث الثقافي اللامادي:

قد يكون علميا وفكريا أو فنيا أو أدبيا من ذات التعبير الشفهي والموروث اللفظي الحكاية والأغاني والأمثال والأعراس والمسرح والسينما والرقص الشعبي مما قد يعبر فيه أصحاب الإبداع عن أرواحهم ووجدانهم وعن أزمنتهم وحياتهم وممارساتهم ومعاناتهم أو أفراحهم. (**يوسف محمد عبد الله، دون سنة، ص 3.2**)

والأعراس هي واحدة من الفنون الحياتية الراقية التي تبث البهجة والسعادة في الأنفس وتقوّي الأسس التي تنبني الثقافة الاجتماعية وتختلف طقوسها أهدافها ودرجات تأثيرها من مجتمع لآخر بل من بيئة لأخر مهما كانت.

4. تحدّيات العولمة:

تحولّ مفهوم العولمة من اكتساح السوق الاقتصادية والتحكم في السلع والإنتاج والترويج ورؤوس الأموال إلى التحكّم في صنع نسيج جديد يقوم بتحوّلات الثقافية لاختراق الموروث التقليدي، فاستخدمت العولمة الصورة والصوت واللون كأدوات نشطة في البثّ والاعلام ليتحدّى ذلك الموروث الثقافي المادي واللامادي رونقه وجمالية سحره وعبق كلّ تلك السنين التي مرّت عليه فجأة. وانساقت المجتمعات وراء ثقافة تعتمد جاذبية التصنيع في كلّ شيء حتّى توليد المشاعر والأفكار والاتجاهات والتقدير الوجداني للأشياء إلى حدّ تبدو معه القيّم والهويّة سريعة التحوّل قبل أن يترسّخ منها جزءً همها كان يسيرا في الزمن والمكان وافتقد الإنسان مع ذلك القدرة على التمعن والتمتّع لأنّه إن لم يسرع فإن عالما بأكمله من الأحداث سوف يفلت منه إن لم نقل بل إنّ ذات ستفلت منه أمام الكم الهائل من التغيّرات إلى حدّ

قد يصيبه النسيان، والعجز في معرفة أسس انتمائه الثقافي. كما أنّه سوف يغرق في التخلف والتأخر الشديد بالنسبة لدوّلٍ وثقافات أخرى وبسبب إصابته بالعديد من الأمراض الثقافية التي لا يمكن لثقافته مواجهتها ومقاومتها لأنه مشبع بثقافة أصلية أو بثقافة الفراغ أو الخوف أو الجهل أو ثقافة الفقر التي لا تحتوي على المناعة الكافية والعالية للتصدّي إلى كلّ تلك الأخطار المحدقة به منذ العهد الاستعماري وبعد اختراق الحدود الجغرافية معنويا وإلكترونيا، وبسبب مؤسسات الشراكة والهجرة وغيره من الأحداث التي غيّرت ولا تزال تغيّر وجه العالم والفكر الإنساني عموما والثقافي على الخصوص. فاتجاه العولمة نحو إذابة كلّ الفكر الإنساني باختلافاته التراثية واللغوية والدينية والتاريخية وفنونه وأعرافه وجمالياته في بوتقةٍ واحدة قد يدفعنا لضرورة الانتباه لخطورة هذا الحصار الثقافي والنفسي المعاصر، والذي قد يبدأ بإدماج الفئات الشابة والمناطق الصغيرة باسم المعاصرة والتقدم.

5. شلالة العذاورة.

منطقة أو دائرة تابعة لولاية المدية والتي تقع جنوب الجزائر العاصمة بـ حوالي (84 كلمتر)

6. القيمة النفس اجتماعية للأعراس التقليدية:

يعتبر العرس قيمة تراثية وثقافية ونفس اجتماعية مهمة في حفظ بعض الأعراف والعادات التي تعكس خصائص ومبادئ وروح ووجه الأمة واتجاهاتها الخاصة. ويحدّد العرس أهمية وقيمة التكوين الجينيالوجي لأنساب الأفراد والجماعات ونظمهم التربوية والأخلاقية والسوسيولوجية. فمحتوى الأعراس يوضح ويرتكز كذلك أسلوب العيش والادخار والتحضير له لأمدٍ بعيدٍ، على مستوى الاختيارات والتوجهات والإمكانات الاجتماعية التي يعتمدها الناس في أعراسهم لتحظى هذا المناسبات بكل القيّم وكلّ التقديرات الفنّية والجمالية والاقتصادية للحدث في طابعٍ أخلاقي متماسك ومتميّز وتزداد قيمة العرس بعدد الحضور وبخصائص التسامح وفي

سياق فكّ جميع النزاعات والخصومات في هذه المناسبة السعيدة التي يكون دورها أيضا التطلع إلى آفاق وطموحات سامية وعليا. وتعتبر الأعراس كأحداثٍ اجتماعية تكشف بقوة عن طبيعة المجتمع وطبيعة روابطه الاجتماعية وانتماءاته العرقية وأصالته وقدرته الاقتصادية ونمطها الفكري والثقافي وعن أهم التقديرات بين أنواع المراتب والسلطات وعن المكانة الاجتماعية لفئات الأفراد المقرّبين والمحيطين بالمناسبة على اختلاف جنسهم وفعالية أدوارهم وموقعهم فيها. فهذه الثقافة تحمل مجموعة القيمٍ المعبّرة عن خصوصيات المجتمع، وما يحفّها من العاداتٍ والتقاليد والطقوس المرتبطة بالمعايير الاجتماعية. وتكشف الأعراس عن تضام النسيج العمراني وبشري بين بعض الأصناف من القبائل دون الآخر، وذلك تبعا لمرجعيات وخصائص تاريخية وجغرافية متوارثة بين فئات المصاهرة. فالأعراس ثقافة متكونة عبر الزمن وذات بنيات دينية واجتماعية وأنثروبولوجية متوارثة بين العائلات ومحدّدة عبر الأزمنة ومراحلها يصعب معها الاختلاط بسهولة مع عائلات أخرى من نمطٍ أو طبقة أو اتجاهٍ آخر سواءً في الماضي أو الحاضر.

وللذكر فإننا لم نعثر على حدود اطلاعنا على ما يعطي لهذا الاتجاه من البحث المؤشرات أو السندات المرجعية التي تكفل لنا عن خصوصيات العرس ومميزاته لا في ثقافتنا ولا حتى في الثقافات الأجنبية. وعليه فلم تتوضّح لنا قيمة الأعراس داخليا أو لدى مختلف الشعوب والثقافات الأخرى لتوضح لنا تلك المبادئ والأسس والتقويمات المحدّدة التي تنبني عليها طقوس العرس. فاكتفينا في هذا بالتركيز على أن هذه المناسبة بأنّها منهج المجتمع واستقراره الأمني والاقتصادي في الحياة وبقيت الأعراس ترتكز على جملة من الترتيبات المادية قد ينتهي مفعولها بمجرد انتهاء فترة إحيائه.

ولم نجد عن هذه المناسبة إلاّ عنوانا ضحلا من خلال اطلاعنا المرجع اللاحق ذكره فأن الأكراد على سبيل المثال لا يقيمون الأعراس إلا في موسمي الربيع والخريف

لاعتبارات اقتصادية لأنهما موسمي الاستقرار والجني، ويتميز عقد القران لديهم مباشرة بعد ميلاد الصبي والصبية ولا يرجعون عن ذلك إلا في الحالات النادرة والضرورات القصوى. وهذا استخلاصا مما اطلعنا عليه في كتاب: (**محمود بايزيدي، ترجمة جان دوست، 2010، فقرة الأعراس عند الأكراد. (ص 43)**

وعليه يمكن القول أنّ العرس هو ثقافة إشهار والإعلان عن الزواج والارتباط بين وشخصين والتقارب بين عائلتين أو نسبين، كما هو مطلوب ومنصوص عليه في الشريعة الإسلامية، وحتى لا يخطب شخص على شخصٍ آخر.

7- القيمة النفس اجتماعية:

للأعراس معانيها ودلالتها وطقوسها في المنظور التراثي وفي الثقافة الشعبية، نظرا لارتباطها بمفاهيم كثيرة منها الفرح والحبّ والسعادة والمهور والسيادة والقوامة والاستقرار والطمأنينة بتعزيز القدرة على الإنجاب والتقدير من الناحية النفسية والاجتماعية لدى الأفراد والجماعة على العموم. ودون أن نغفل عن قداستها الشرعية والدينية لدى مختلف الشعوب والحضارات والأديان عبر الحقب الزمنية ومن مختلف الأوجه الدنيوية والأخروية عند الحضر وعند البدو على الخصوص، لتتحقق مشروعية المسؤولية من جهة والتمتع بالاستقلالية والحرية الذاتية والفردية من جهة ثانية. حيث يقوم الأفراد من خلالها بتلبية حاجات نفسية والجنسية وبيولوجية واجتماعية ويحققون من ورائها المكانة الاجتماعية وتقدير الذات وتحقيقها عبر التميّز بالعزوة والسلطة الأبوية ويلعبون الأدوار المنوطة بهم ويقومون بوظائف عديدة تجعلهم بشرا متميّزين على خلاف البعض هنهم ممّن لا يحظى بتلك الأدوار الاجتماعية التي يحقّقها المتزوجين خلال عذا العرف الاجتماعي للقيام وإتمام الرسالة الإنسانية لدى الإناث والذكور منهم على حدّ السواء. في حين تعتبر العزوبة أو العنوسة والبوار (أي قلّة أو انعدام فرص الزواج) وهي من أخطر المشكلات التي قد تواجه بعض المجتمعات عموما والأفراد منهم على الخصوص.

8- العلاقة بين الزواج والأعراس:

تميّزت الشعوب والأمم عن بعضها البعض وأهمّ عناصر تميّزها ذاك، ما هو كامنٌ أو مرتبطٌ بثقافات وعادات الزواج والأعراس التي سادت منذ نشأة الإنسانية. أدّى انسجامه وتناسقه بظهور إلى تماسك المجتمع ووضوح أساليبه المتنوعة في ممارسة جوانب الحياة في معانيها وقيّمها ومبادئها بمبدأ المحافظة على الإنسان ورعايته النفسية والفكرية والعضوية والجنسية والاجتماعية.

ويعتبر موضوع الزواج قيمة من القيم الجوهرية ليست في بعدها التاريخي فحسب وإنّما في تحقّق الأفراد والمجتمعات التطوّر بمختلف مجالاته من جهة وفي تحقيق البقاء من جهة ثانية. وقد عرفته الحضارات الإنسانية عبر جميع العصور، وجميعها اعتنقت الزواج وجميعها سواء الشرقية أو الغربية المتديّنة أو غير متديّنة ومارسته كلّ الشعوب بهالات من الأفراح والسرور في كلّ الأزمنة بابتهاجٍ كبيرٍ الذي اقترن بكلمة العرس أو الأعراس في جمعها. (Fête de Mariage)

وعليه فإن المجتمعات أولت أهمية كبيرة لموضوع الزواج باعتباره قيمة ومنهجا وتنظيما قانونيا وعلى الرغم من اختلاف تنظيماته فيما بين المجتمعات والحضارات والأزمنة الماضية والحاضرة وكذا في الاختلاف القائم بين ضوابط وقواعد الزواج الذي أحاطته الأديان والكتب السماوية بالقيد والشرط وحسبما أتي به الرسل والأنبياء الذي عرفته المجتمعات المتديّنة بالنسبة لما هو سائد في المجتمعات الشيوعية والطبيعية أو ذات الأديان الوضعية، التي تميّز نظامها الزواجي بخطف النساء وبالشيوعية الجنسية وبالممارسة الجماعية أو المثلية التي تعتمد الشيوعية في المال والنساء وتتولى الجماعة حاضنة الأولاد وهذا ما أثار شكوك ورفض الكنيسة في القرن التاسع عشر لهذا الاتجاه بسبب ما أثارته هذه الحركة اللادينية من استياء في الأوساط الدينية.

فالزواج عادة قديمة اصطبغت بالقداسة لدى الكثير من الشعوب القديمة والحديثة وقد ارتبطت بالأسرة والسيادة وإنجاب الأولاد والمسئولية عليهم، حيث يعيش

الرجل مع امرأة أو عددٍ من النساء لغايات وأهدافٍ تحقّق الحاجات الطبيعية وتحفظها من الزوال. كما أنّه من خلال الزواج يكون مسئولا عن أمور مادية ومعنوية كثيرة منها ممارسة الجنس للمتعة ولإنجاب الأطفال ولرعايتهم وكذا قصد التعاون بينهما اقتصاديا إلى غاية ظهور واكتمال النظام الاجتماعي، وتطور النظام الاقتصادي. وقد تطبّع الزواج بطبيعة المجتمع عبر العصور؛ فعرفت المجتمعات الزواج المؤسس على الرعي والزراعة والدين والحرب. أيّ أنّ كلّ نوعٍ منه يتخذ الميزة والصفة أو الحالة السائدة أو الغالبة دينيا أو اقتصاديا في المجتمع (الرعي، والزراعة، أو الحرب والسبي...).

(ملكة يوسف زِرار، 2000، ص 13، 26، 51.)

9- التراث الثقافي:

ترتبط الأعراس تراثيا وثقافيا كأي نشاط اجتماعي بالخير والتميّز والفوز، وفي آنٍ واحدٍ يرتبط أيضا بالخوف وبالحسد والعين والسحر والشعوذة خاصة لدى النساء. فنعمة العرس وفرحته لا يأتيها بسهولة كلّ الناس. وهذا كثيرا ما يزرع لدى البعض الآخر بعض الطاقات السلبية في الفئة الأولى لذا قد تجدهم يكتمون ويتسترون عن تلك النعمة خوفا من أن تزول أو يصاب العريس أو العروس بالأذى أو وقوع مكروه ما في إحدى العائلتين المتناسبتين أو يبطل المشروع من أساسه.

هو كلّ تراكم في ثقافة أي أمّةٍ من الأمم. وهذا هذا في الفعل الثلاثي المشتق من فعل ثقّف يثقفُ تثقيفا. ويعني لغة صقل والتهذيب ونقول ثقف الشيء أي سواه وعدّله، ونزع عنه الشوائب. وتثقف ثقافة أي صار حاذقا. وقد نقصد بالثقافة في هذا المقام كلّ ما هو في أصله ومنبعه صافي، ولم يمتزج مع غيره من الثقافات الدخيلة. أو هو ما يعبّر عن جوهرٍ فكري أو سلوكي نقيّ. ويشمل العادات والتقاليد والأفكار والقيم المادية والمعنوية التي تميّز فردا أو جماعة عن الآخرين. ومما يلاحظ أنّ التطور والتغيّر الثقافي قد أثّر على ثقافة الإنسان وعلى عاداته حين طغت المادة على المعايير الروحية وولوعه بالثقافات الجديدة. **(نشوان، يعقوب، 1993، ص 93، 97.)**

10- تحديات العولمة:

هي جملة من الآليات التي اتخذتها العولمة كاستراتيجيات لبلوغ نهايات أهدافها ومخططاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن طريق الأساليب الثقافية وعن طريق الحروب النفسية والإعلامية الباردة ذات المستوى العالي من الدقّة والنفاذية سعيا وراء محو كلّ ما يمكنه أن يكوّن حواجز ولو كانت قيّما معنوية بين الثقافات الشعوب ذات التبعية. وهكذا قد تتمكن من إزالة تلك الأعراف وتلك العادات فتكون لها الهيمنة المطلقة. وفي هذا السياق فقد اتخذ مفهوم العولمة وتحدياتها مناحي ومعاني كثيرة ومتعدّدة، فكلّ من العلماء والباحثين يعرفها بحسب اختلاف اغراضه واتجاهاته على: أنها ظاهرة طبيعية مرتبطة بموازين القوى الاجتماعية والاقتصادية والتقدم التكنولوجي والتقني نتيجة تطوّر علاقات الاتصال وسهولة التواصل. ومن الطبيعي أن الجانب الهش والضعيف من الكرة الأرضية أي من ليس له ما يقدّم فهو الذي يستسلم مندفعا وراء حاجاته بلا قيد ولا شرط ليتبنى وستورد قصرا كلّ ما هو جاهزٍ لأنّه لا يملك البديل، ظنا منه أنّ ذلك شراكة أو تبادل لا تتضمن توجهات استعمارية. معتقدا أن ذلك نتاج تفاعل العصور الذي ساهمت فيه الكثير من المجتمعات. أما التيار الثاني فيرى أنها استعمار جديد يقوم على الهيمنة الثقافية والاقتصادية. وهي تعمل على تذويب ثقافات الشعوب المحلية جميعها في ثقافة واحدة التي يفترض اتباعها بحكم أن التغير الحاصل يلغي بالضرورة الفروق الدينية والقومية وما تتسم به تلك الثقافات وما يميّزها لأجل الهيمنة الكاملة.

(أبو جلالة لمياء مصطفى، 2003، ص 75، 76)

11- شلالة العذاورة واقع وموقع:

هي واحدة من المناطق العريقة بالجزائر، كانت سابقا تسمى بـ Maginot على أحد القادة الفرنسيين حسب ما يرويه بعض السكان الذين حكموها. وهي إحدى المناطق الداخلية التي تقع إلى جنوب مدينة المدية وتبعد عن

الساحل أو عن العاصمة بحوالي 250 كلم. ويفوق عدد سكانها 50000 نسمة حسب إحصائيات 2005. وهي تأتي في المرتبة الثالثة من حيث التعداد السكاني بعد مدينة المدية مقرّ الدائرة ومدينة البرواقية في ذلك الحين. وإذا حسبناها ثقافيا فإنّ كلّ نسمة أو كلّ نفرٍ من أولئك فهو قيمة وفكرة وكلّ فكرة هي مركز قوّة لحفظ التراث عن طريق مختلف الأفراح والأعراس والأمثال الشعبية عبر الأيام والسنون الثقافية والتراثية، التي تعتبر متنفسٌ ونور في منطق أهل المدينة ووكلّ حركة تعتبر مدرسة للحياة بالجهة. فإذا كان شعار مدينة المية يحمل عنقود عنب كدلالة على الاخضرار والرزق الوفير من حبوبٍ وخضرٍ وفواكه بمنطقة المدية أو قلب وقمّة التيطري سابقا. فإنّ لكلّ مدينة شعار ولمدينة شلالة العذاورة شعارٌ يحمل مفتاحين متصالبين بلونٍ أصفر مذهبٍ في الجهة اليمنى من الشعار، الذي يتوسطه حصانٌ عربي أصيل بذات اللون المأخوذ من لون الشمسِ، حصانٌ متأهبٌ للقفز، أو في وضعية تنم على حركة راقصة تعكس السرور والفرح. فقائمتيه الأماميتان متجهتان نحو السماء في الهواء، أما القائمتان الخلفيتان فراسختين في الأرض دلالة على قوةّ التمركز والثبات. وأحيطت حواف الشعار باللون الأزرق الليلي، في حين يظهر اللون الإجمالي للشعار بالأخضر الذي يرمز إلى الإثمار والخير والعمار. في المدية العيون والمنابع وكذا يوجد الوفير منها بمنطقة شلالة العذاورة وقد حيكت حول تلك العيون ومياهها الحكايات والأساطير. وبها أيضا ورشات للنسيج والتفصيل والخياطة للخواص ويرتكز معظمها في حي كاف الطير العتيق.

(ولاية المدية، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة، شخصيات شرّفت مدينة المدية. ص 32.)

12- منعكس أعراس الشلالة النفسي والاجتماعي:

الأعراس قيمة ثقافة عميقة وواسعة، تحمل أحداثا قد تؤثر على الصّحة النفسية والاجتماعية بخصائصها المادية والمعنوية العريقة والأصيلة بناء على أن العرس

له مفهوم محدد ووظائف متعدّدة، تقوية العشيرة والسلالة، الدعم الاقتصادي والحفاظ على الموروث الثقافي. (**ولد محي الدين نبيل، ص 3**)

فالأعراس لها غايات بعيدة المدى فبالزواج توسع الأسرة لتوفير اليد العاملة وتحقيق الاكتفاء الذاتي (أتعب على ولدك في الصغر تلقاه في الكبر) أو (لرض بلا أرجال، كي الحرب بلا أبطال) أو (اللي ما عند خوه ولا ولدُ يحقرُ الهمّ وانْسيبُ.)

ومنه فقد تكون الأعراس مناسبات ذات أهداف متنوعة بل الأعراس هي كالمدرسة لها مخططات ومناهج محكمة وكاملة لتمس كلّ تلك الجوانب التي تصنع حياة الأنسان. لأنها تفصل بين حياتين يحياهما الفرد في المجتمع، حياة العزوبية وحياة الارتباط فيما بعد. وتأتي الأعراس بعد فترات من التعب والتهيؤ لها، فتصبح عوامل الصحة النفسية المحققة من خلالها مهمة هي جزء أساسيٌ في منحه تلك القوّة والصمود لبلوغ مستوى الثبات والاتزان والمواجهة. ولكلٍ من هذين جانبين قيمه المهمة بالنسبة للفرد والمجتمع، على رأي الكثير من الباحثين في الصحة النفسية منهم أ. مايير، أحمد زكي الذين يرون أنّه لا يخبرها إلاّ الفرد نفسه وتظهر في صلابته وفي عمله وإنتاجه وصلاته النفسية وتبدو في توافقه الذاتي والاجتماعي، وهذا ما يتيح للفرد إقامة علاقات متوافقة مع الآخرين. (**أحمد عزت راجح، 1961، ص 447**)

ويكون الجانب الأول لتلك العلاقات فيه الضبط والتقويم والحرص والعمل وتقدير القيّم والأخلاق. والثاني له هو جانب صعب لكنه مغري كما الأساطير التي يصنعها الخيال وتستأنس بها العواطف ويتشبّع الأفراد والمجتمع من خلالها بالجمال والرضا والتعاون والتوافق والتواصل. ويعم بين الأفراد المرتبطين الخير ويتبادلون من خلال الأعراس الزيارات والمودة والتهاني والهدايا. وينسى الجميع الأحقاد والأضغان ويتجاوزون جميع الطباع إلى الأفضل والأرقى منها. ويميلون إلى أكثر المواقف صلابة لتقوية البناء الاجتماعي وتجديده. ويعرف فيها الأفراد والجماعات اليقين والسعادة والاستقرار. فإقامة أفراح الأعراس تقترن دوما بالمناسبات الجميلة وبفصول ومواسم

الإنبات أو الحصاد كالربيع والصيف. ويتفاءلون بعرس كان قريب العهد. ولا تقام الأعراس إلاّ في حالات التصاف والرضا والقبول وكذا برجوع الأحبة من الغربة والاغتراب. ويبرمج دوما للأعراس بعيدا عن أحداث الموت والمرض والمصائب أو أيّ حدث مؤلمٍ. وإن كان ولابد فقد تقام الأعراس ليس للفرح وإنما لقضاء المصلحة العامة والأولويات الضرورية. وقد كانت الأعراس مواسم لكسر قيود وظلم الاستعمار. فبالأعراس كانت الثورة تمرّر رسائل الحرية والتحرُّر والحرية لتكتمل الفرحة لدى أسر النسب الجديد. فهذه وغيرها هيّ على الأغلب مؤشرات النمو والنضج وبلوغ المستوى العالي من القوامة لروح المسؤولية الفردية والاجتماعية التي تقوم بين للناس على التعاون والحبّ. فالعرس له أكثر من دلالة للتعبير عن طبيعة الفرد والمجتمع وحاجاتهم النفسية إلى المحافظة على الأصالة الضاربة في القدم. والأعراس هي الفترات الواصلة بين عمر الفرد وعمر المجتمع في آنٍ واحدٍ للتذكير بالصور والقيّم الحقيقية لكلّ من الإناث والذكور على حدّ السواء بالواجبات الملقاة على عاتقي كلّ واحدٍ منهما وكذا على عاتق المجتمع من جهةٍ أخرى تحتاج وتستحق إلى هذا التراص الطبيعي والاجتماعي. مما يدفع جميع الفئات إلى التماسك والتفاعل الإيجابي فيما بينهم عبر الأزمنة وفي مختلف الأحداث مهما كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية الصعبة السائدة. فثقافة العرس هي تطبيع وتواصل اجتماعي يساهم في استمرار بناء العلاقات السوية المتطابقة مع الوجه الحقيقي للمجتمع ويعمل على إزالة أوجاع الأفراد ويفسح أمامهم أبوابا من الأمل لاستمرار العطاء والحياة بكلّ ما تتسم به أزمنته الماضية أو المعاصرة ومهما كانت قوّة قيّم الحداثة الإلكترونية وتحديات العولمة الرافضة للاتساق الهوية مع جذورها. فالأعراس من القيّم والثوابت التي يتمّ من خلالها العود إلى تعزيز منطق الأصالة والانتماء الاجتماعي جيلا عن جيلٍ وتربية الثقة بالنفس في هذا الاقتداء والولاء، بدل الانغماس في التبعية الفكرية والثقافية والغوص في التقليد

الأعمى نتيجة العقد النفسية وتعطيل القدرات العقلية عن الابداع والابتكار فيما نملك من القيم وآليات الذاتية والاجتماعية لتفعيل الدور المنوط بكلّ واحدٍ منا.
(محمد عثمان، 1999، ص 15.)

13- الأعراس وغلاء المهور:

قد تكون ظاهرة غلاء المهور المتزايدة من ظواهر العولمة التي تربط كلّ أمر برأس المال وبالاقتصاد. وهذا ما أفقد الأعراس والعلاقات الإنسانية أهدافها الراقية والجمالية التي تكمن في الصدق والبساطة مما كان يعتبر إلى حين يدعم التطبيع الاجتماعي. لكن اليوم أصبحت المعاصرة واحدة من التحديات التي زرعتها العولمة ضمن تلك القيّم. فكانت النتيجة حالة من الفوران والبذخ الذي أصاب الأعراس بالنسبة لم كان عليه كوجه من أوجه الخير والثقافة الملائكية التي تحمل جميع صور الخصب والأفراح بالمنطقة تماما وما أصاب غيرها من مناطق الوطن الأخرى من تغيّر حسب ما أدلت به لنا مجموعة من الطالبات والطلبة العذاوريين. وعليه فقد تسرّبت إلى الأعراس أمراض العصر، كالبذخ بالإسراف والتبذير والكلفة وارتفاع المهور والشكّ والكتمان والتحايل مما أدى إلى انقراض الكثير من السمات والخصائص لهذه التظاهرة العائلية والاجتماعية التي مزّقت حجب العولمة والبهرجة قداستها وعفويتها الأصيلة. وتخلي الكثير من السكان وفي مناطق كثيرة عن الكثير من العادات والتقاليد والطقوس التي كانت تضفي على العرس وليلة الزفاف فرحا وسحرا وجمالا وعذوبة الفرح والكثير من النشوة في تلك البساطة التي تديم عمر أفراح الأعراس مدة قد تتجاوز سبع ليالي وسبعة أيام في بيت العريس والعروس تضامنا وافتخارا بالحدث السعيد، الذي تلفه الأماني للباقي من الشباب والشباب الذين ستأتي أدوارهم لا شكّ بعد حينٍ، بل وإنّ بعضا من الخطبة وعهود التمليك تتمّ خلال العرس المقام مباشرة.

وأما اليوم فقد صارت الأعراس مجرّد واجب خالي من طباع ورسائل ودٍّ كانت تسري بين الناس سابقا. فقد كانت الأعراس تقام في ساحة الحيّ أو في الخيام والمنازل

بمشاركة وتعاون جميع الجيران قبل الأهل. أما اليوم فبدأ يعرف ومنذ السنوات العشر الأخيرة قاعات الحفلات وبدأ يغيب عنها تدريجيا الديكور التقليدي كأواني النحاس والطين والخشبية (الجفان والقصاع) والأفرشة الصوفية والزرابي والوسائد المنسوجة بأيدي النسوة اللائي كن يجهزن الأبناء لسنوات عديدة. كما كنّ يقمن بتحضير أدوات الزينة التي يتميز بها البيت العربي والأسرة الجزائرية، وكذا اللباس. أما اليوم فقد طغى الاستيراد وغاب المنتوج المحلي وحضرت منتوجات الصين وتركيا وغيرها من السلع العالمية التي لا تدلّ في معانها ودلالتها بما لا يمت بصلة إلى الأصل الجزائري وهوية العرس وأهدافه فالكلّ أجنبي ما عدا العروس والعريس. وقد ذكرنا الطلبة بقلة نسبة العنوسة وكذلك الطلاق وأنّ غالبية العظمى من النساء يتحصلن على مستوى من التعليم لكن لا يباشرن العمل أو الوظيفة إلاّ نادرا.

ورغم ذلك فأن المجتمع العذاوري فقد عرف تغيرات كثيرة نذكر منها مثلا أنّ الحناء كانت في الأعراس هي ما يرمز إلى الاحتفال بليلة الزفاف ويزيدها بهجة وسرورا وتحيطها الجدات والأمهات والخالات والعمّات والأصدقاء كهالة بالعريس والعروس في تصورات وعادات السلوكية بهيجة. لكن اليوم يمكن القول أنها غيبت تماما أو إلا نادرا وغابت معها الحناية وهي العجوز الوقور والمباركة التي تقوم بربطها في كف العروس وحتى قدميها سابقا. فتوضع الحنة الورقية المطحونة ويضاف لها السكر وبيضة وتبل بالحليب وماء الزهر للفأل الحسن والسعد وتربط في كف العروسة على خاتم من ذهب أو قطعة من اللويزة. ويشاركها كلّ الفتيات في سنّ الزواج تيمنا وبركة لينالهم ما نال العروس من الفرح بالنصيب. لكن مع الأسف نجد أن هذه العادات من المشاركة النفسية والاجتماعية قد انقرضت بأسباب عديدة منها سوء الظن والشك والخوف من السحر والحسد والشعوذة والرباط وغيرها من الأمراض النفسية وهذا ما يفتح المجال واسعا أمام الفراغ الذي تركه غياب تلك العادات والطبائع المميزة لثقافة الأعراس مما مكن دخول العادات أجنبية عن طريق الأفلام الأجنبية ووسائل الإعلام وأصبح

ينظر للحناء أنّها شيء تقليدي ومقرف أمام طلاء الأظافر والأصباغ العصرية من مختلف الماركات العالمية.

ومما يعكس التخلي عن هذه العادات مهما كانت بسيطة هو تفريغ المناسبة من فحواها ومحتواها فتسرّب الفراغ ثمّ بدأ البحث عن البديل لملئه تبك الثغرات أو تعويض بأيّ شيءٍ وصار البديل هي السلعِ المستوردة والأفكار الدخيلة وتكرّر الأمر إلى وصارت عادات ثابتة لا يستغنى عنها. (**عزيزة عبد العزيز علي، 2007، ص 29**)

14- الأعراس وصمود بعض العادات:

- هناك عادات تبدو بسيطة لكن اعتقاد الأفراد فيها والمجتمع لا يتخلى عليها إلاّ نادرا أو إطلاقا. فأهل العريس يتمسكون مثلا بأنّ أب أو كبير العائلة كالعم إن كان الأب مفقودا هو الذي يقوم بإخراج العروس من بيت أهلها يوم الزفاف (التراوح)، أي أخذ العروس على بيت عريسها بحضور جميع أهله، حيث تستقبل عند عتبة باب بيت العريس من طرف حماتها بالحليب والتمر. وكذا يوم تعود العروس بعد حوالي خمسة عشر يوما ضيفة للمرّة الأولى منذ دخولها البيت الزوجية إلى بيت أهلها، حيث يرافقها شيخها أو والد زوجها فهو الذي يصحبها إلى بيت أهلها وليس الزوج مباشرة. ولا زالت الكثير من العائلات والعرف الاجتماعي يتمسك بمثل هذه العادة احتراما وتقديرا لولي العريس وعرف المجتمع إلى غاية يومنا هذا. فأهل الخطيب لا يحيدون عن هذا إلى حدّ الساعة (2019)، حسب إدلاء بعضا من الطلبة والطالبات المخطوبين الذين تحاورنا معهم في هذا المجال. ومن العادات الصامدة أن سكان المنطقة لا يزالون يتمسكون بضرورة صغر سن العروس، الأفضل أن يكون سنّها أقل من ثمانية عشر عاما أو سبعة أو ستة عشرة سنة لو لا تدخل القانون الذي لا يسمح بعقد القران في مثل هذا السنّ هذا السن حماية لحقوق المرأة، كما هو مسموح بتعدد الزوجات خاصة بين الفئات صغيرات السن أو غير المتعلمات أو بين النساء اللاتي يعانين من مشكلة عدم الإنجاب، وإنجاب الذكور على الخصوص.

كما توجد هناك عادات أخرى جميلة وطريفة سائدة في هذا المجتمع ذو الطابع الريفي الأصيل، فتصور أن الفتاة العذاورية تحكي عن عادة صغيرة وجميلة عند مجي أهل العريس لبيت أهل العروس فبعد الضيافة والإكراميات والحديث في الموضوع الزواج وشروطه فإن أهل العريس يقوم بأخذ قطعة من أواني الضيافة كفألٍ حسن قد يكون كأس شاي أو قدح قهوة أو غيره فلا يغادرون دار النسبة إلا بعد أن يأخذوا شيء ما من هذا القبيل وهي عادة من العادات التي تنم عن نية الوفاق والتوافق والتراضي.

– من العجيب أن بعض العادات البسيطة بقيت حاضرة وراسخة في سلوك أهل شلالة العذاورة بالنسبة لأمورٍ أخرى. إذ لا يقبل أهل العروس التخلي عنها ويرفضن تغيّروها إلاّ للظرف القاهرة فمثلا لا يقبل أن تزف العروس من أهل عريسها أو تراح إلى بيت زوجها إلا بيوم الخميس، أي لا يقبل منهم زفها من بيت أهلها إلى بيت زوجها إلاّ بيوم الخميس ليكون صباحها يوم الجمعة وهي عادة بسيطة لكن صرح لنا المستجوبين بتمسك العائلات العذاورية بهذا الشرط إلى أقصى حدود التمسك تيمنا وتبركا بيوم الجمعة. وقد يقبل زفها في غير هذا اليوم لكن في الحالات قليلة ونادرة جدّا.

كما ذكر لنا أهل المنطقة أن العروس لا تزال تخرج يوم زفافها حسب العرف التقليدي بالحايك وخاصة برنوس الصوف الأبيض التقليدي برفقة الرجل المهم في أسرتها ليسلمها إلى الرجل المهم في أسرة العريس، فكأنما هذا السلوك يحفظ الآمانة، أو أن البنت عي عزيزة أهلها وقومها، أو كأن هذا التسليم هو رسالة مشفرة تحمل وصايا وقيم ومعاني ودلالات معنوية قوية. وحين تصل العروس في موكبها تستقبل عند باب بيت زوجها من طرف أم العريس التي تكون رفقة أهل البيت بالحليب والتمر والسكر تيمنا بالفأل الحسن المرتبط بالحليب وبياضه والتمر أو السكر وحلاوته. ولا تطأ عتبة البيت إلى بقدمها اليمنى بعد أن تكون أرشدت ممن يرافقنها لبيتها الزوجية حرصا على أن يكون دخولها هذا مباركا.

ومما لا يزال راسخا من العادات وهي أن العروس تأخذ معها هدايا تفرقها في اصباحها على أهل زوجها حماتها وجداته وخالات زوجها وأخواته زرعا للمحبّة والودّ بينها وبينهم. وتسمى هذه الهدية (بالتابع). وما زال الحديث هناك عن الفليزة أو الحقيبة، ومهما تغيّر شكلها إلا أنها لا تزال مركز الاهتمام بما تحتويه مما يجمعه فيها أهل العريس لعروسهم من مستلزمات ومتطلباتها المتفق عليها في قطيع الشرط كما في الأزمنة التقليدية. وبما تحويه من أشياء وهدايا وعطور وحرير وشموع وذهب وغيره مما قد يحلم به بال العروس ويتصوره خيالها ومما يقدر عليه العريس وأهله، ويكون مفخرة لهم على مرّ الأعوام والسنين ويخلده كلّ حديث عن ذلك العرس بين الأهل والناس جميعا الذي كان هو الأجمل مما لم يسبق له مثيل ولا نظير من بين الأعراس، شأنا ولباسا وطعاما وضيافة وبقاءً.

15- الأعراس وتلاشي بعض العادات:

الأعراس مقترنة بالزواج بطبيعة الحال، وهو بدوره مؤسس على قيم إسلامية مستمدة من الكتاب وسنة النبي محمد (ص) والتابعين له والذي يأخذ بالعادات الاجتماعية التي تعاقبت الأجيال على ترسيخا. لكن ليس تلك القيم أو العادات التي تمليها تلك التحديات التي تفرضها العولمة. لأنّ ما يكوّن الأسرة هي القواعد والسنن والشرائع. لكن أصبحت المادة هي التي تؤسس هذا المنظور الاجتماعي فقد عصفت بهذا المبدأ رياح مختلفة الهوية والاتجاه، وأساليب مختلفة ومن جوانب عديدة في التربية التي تجعل المقبلين على الزواج يركزون على الأمور الآنية والهامشية ويتركون الصلب والقلب الذين يجعلان العرس مؤسسة الزواج الناجح. وهذا ما غيّب العادات والتقاليد الحسنة ولوّث ثقافة الأعراس فابتعدت عن قيّمتها الأساسية التي يقصد من ورائها بناء الأسرة المتماسكة التي تؤسس لإنتاج أبناء يتحملون المسؤولية مستقبلا.

(أبو دفّ والأغا، 2001، ص 58)

والشيء الذي لا يزال صامدا أمام الزمن وتيارات العولمة فالأطباق التي تقدّم في الأعراس خاصة طعام العروس أو الكسكس. فتقوم النسوة من أهلها بفتله وتحضيره أيام من قبل خصيصا لهذه المناسبة. ويقدم معه لحم خروف والبقر نظرا لكثرة الحضور ونظرا لسمة العرس السوسيولوجية وتقدم أيضا التمور والحلويات. ومازالت الأعراس بدون بطاقات الدعوة، حسب ما ذكره لنا شفهيا أفراد أهل المنطقة.

16- الأعراس والتكفل الاجتماعي:

والملاحظ من خلال ما ذكر لنا الطلبة والطالبات من أهل منطقة شلالة العذاورة أنهم مجموع قبائل وهم مرابطون ينتمون إلى شيوخ من الأولياء الصالحين نذكر منهم (سيدي محمد الخيذر). وأنّ أعراسهم في كثيرا من الأحيان تقوم على مبدأ التعاون والتكفل الأسري والاجتماعي. فمن النواحي الاجتماعية فإن الأغلبية من الاختيارات الزواجية يرتبها الأولياء أو الأقارب، فقلما تعطى الفرصة للشريكين الاختيار الحرّ. (**كمال بالخيري، 2003. ص 67**)

وكذلك يكون التكفل من الناحية الاقتصادية خاصة بالنسبة لمن يعرفون أوضاعا مادية صعبة في مناسبات كهذه. ومن هنا فإن المجتمع ينظر إلى الزواج والأعراس كعادات الثقافية وأسس للبناء الاجتماعي من جهة ومن جهة أخرى فهو مرآة اجتماعية تعكس الكثير من الثقافة العامة والشخصية ودرجة مهمة من تقدير الذات وتحقيقها معنويا واقتصاديا وكذا من الناحية الإعلامية والتعريف بالأعراف في عمليات الزواج والإنجاب والتكاثر كأسلوب من أساليب الدعم والمساندة الاجتماعية وهو مصدر كأي من مصادر القوة والتغذية الاجتماعية، لذا يعتمد العرس كتسهيل نفس اجتماعي إنساني مع إحصاء للمتزوجين من غيرهم. والأصل في هذه الأعراس هو المشاركة والإشهار والإعلان عن الزواج بالتزاور والتماسك والتعاون ضمن الشروط الشرعية بدلا عن طرق الممارسة الحديثة التي تجعل منه علاقة فردانية خاصة بالزوجين بعيدا التعاليم والطقوس الاجتماعية التي تتم في دائرة قد تكون ضيّقة ولا تضبطها إلا

مفاهيم واهية آنية لا علاقة لها بذهنية المجتمع ومناهجه وأفكاره وفلسفته وعاداته. حيث يخضع الزواج على حرية الاختيار والتصرف دون الأخذ بالأسس والأبعاد الثقافي والرمزي الدال على طبيعة المجتمع وأصالته. زواج أو ارتباط قد يعتمد على المبادرة الذاتية التي تقوم على الإرادة المستقلة والحرّة وعلى الإدراك الآني دون النظر بعمقٍ إلى المستقبل الذي تتحكم فيه أحلام اليقظة والخيال والتصميم والإصرار والقرارات الحرة تاركا وراءه الأصل والحكمة من الزواج والعرس بسبب مؤثرات الثقافة المعاصرة وسيطرة نظريات العولمة التي تناست أو تتناسى القيم التاريخية للسلوك الإنساني، مما قد ينعكس على المجتمع والأفراد بخيبة الأمل وبالهموم على قدر التحولات الحاصلة لدينا، وبالفرح والتوسع على اتجاه السياسات الدخيلة.

17- التوصيات:

- إنّ ثقافة الأعراس هو جانب تراثي باطني وظاهري يرتبط بطبيعة الأمة العربية والإسلامية لذا قد يكون مستهدف من طرف ثقافات أخرى لأنه مركز الاختلاف وجال الخصوصيات التي قد لا تلاقي بيننا وبين غيرنا.

- العرس إشهار للزواج مؤسس على الرضا بالدين والخلق الذي جاء الأمر فيه بالتزويج قبل كلّ الأمور الأخرى.

والأمر الثاني في السنّة هو أن أقلّ النساء مهرا هي أكثرهن بركة.

- والعودة إلى هذين الشرطين يوضح للناس اختيارهم وطريقهم ومنهجهم، وبالتالي أمر يقلّل من مظاهر الفساد وآفة الطلاق.

- ألا تقام الأعراس إلا بعد الحوار الحقيقي والوفاق الكامل مع الصراحة والوضوح التامين.

– أمام حرب الطلاق المعلنة في الجزائر لابدّ من قيام حرب إعلانية للتوعية الاجتماعية ونشر الثقافية الزواجية. للتوضيح أن الزواج والأعراس هي عمليات بناء إنساني في منفعة للجميع من الزوجين والأهل وخاصة للأبناء من الجيل الصاعد، أبدا لا يكون المجتمع صلبا قويا من الأرامل والأيتام وأطفال ممزقة قلوبهم بين أمٍ وأبٍ متخاصمين كلّ معادٍ للآخر.

– خاتمة:

إنّ تغيّر شكل التراث من تراثٍ اجتماعي إلى الإنساني تحكمه قيم وتوجهات العولمة وتضبطه تحدياتها التي تحدث في ثقافته تحولات قد تكون غير مدركة في آنها لكنّها تصبح شروخا مدركة ومحسوس بها في عضوية المجتمع. وتحوّل ثقافة عميقة التي يفترض أنها تحافظ على طابع بنائه الاجتماعي إلى آخر تكون ثقافته مظهرية تمارس عن طريق الخدع البصرية والمتعة الآنية التي ترمي به وكلّ الموضوع وأهداف وضروریاته الأساسية إلى حياةٍ كمالية متجاهلة أهمية رغبته في الحياة المستدامة للمجتمع ومعتبرة كلّ فنونه وزخارفه وإبداعاته مجرّد متعة لا تحتاج إلاّ لتلك الأسس المادية دون الأسس اللامادية ومراميها التي تمثل القواعد نفسها للبقاء ويعمل فيها الثراء الفكري والتنوع الطبيعي والبيئة المحيطة كعناصر وخصائص ينبثق منها ذلك الموروث الثقافي المميّز لكل فئة من الفئات والأصناف البشرية التي يتعاقب مجهود الأجيال على صنعها وجودتها والمحافظة على تراكماتها في مختلف مجالات حياة المجتمع ودون أن يغفل عن عوامل وأساليب التواصل السلمية والحربية بين الشعوب حيث تتبادل قوافلها في رحلات الاستكشاف والتجارة والإعلام خلال الحروب وفي الزيارات الودية بين الملوك والحكام على تطعيم وتلقيح كلّ حضارة وعادات وتقاليد الأخر ببصماته الخاصة بكلّ من المؤثرة والمتأثر على مرّ الأزمنة.

فهذا التلاقح الثقافي والفنّي هو واحد ممن ساهم وله الفضل في تجويد الصنع من حيث ارتقاء الفكر واللون والذوق والحركة والإحساس وفي انتشار الثقافات مهما بعدها وموضوعها أو غيره. وكانت الأعراس هي واحدة من بين كلّ تلك المؤشرات التي جمعت وشملت كلّ ثقافة الشعوب. فالأعراس تجمع كلّ الفنون وطقوس التعامل واللباس والطعام والرقص والغناء والموسيقى والطقوس المادية والمعنوية التي تعبّر عن الفرح والحذر والأمل. وتتلوّن الأعراس بكلّ بصمات أيام الزينة التي تكشف عن مستوى ودرجات الأبهة التي تتميّز فيها الثقافات عن بعضها الآخر. وتكون الأعراس كما جاء في الكتاب الذي يحمل ويلخص كتاب الأمة في كلّ أسراره وسحره، وهو مبتغى كل الشباب وجميع الأسر نظرا لما تحمله من معاني وتقديرات التي يتعطش لها كلّ الآباء لإقامة مثل هذه الأيام فرحا بالأبناء ولعا بالمكانة والتقدير الاجتماعي لذا يهون عليهم كلّ غالٍ مقابل أن ينالون مثل هذه الأيام في العمر، والأعراس هي أيامُ فخر واعتداد بالنفس وتاريخ لا تنساه الأسر أبدا ولا العرسان، وهو في الختام البصمة التي تميّز الشعوب بعضها عن بعضها الآخر وإن تشابهت في العموم. وتدوم الدورة الحياتية للمجتمع والأفراد بين الإساس بالفراغ وما تصنعه العولمة بالصورة والصوت وومضات الإشهار التي قد تكون فارغة لكنها لا تستهدف إلاّ ملأ تلك النفوس التي تشعر بالفراغ رغم الفقر الفكري والحشوي وغيره من الصدمات الاقتصادية التي تعمل العولمة على حقنه بجرعات من الوهم وأخرى من الأوهام، فلا يستيقظ بعدها أبداً.

– قائمة المراجع:

1. أديب أبي ضاهر، (1993)، **عادات الشعوب وتقاليدها**، دار الكاتب العربي، دار الشوّاف، الطبعة الأولى.

2. نشوان، يعقوب، (1993)، **التعليم المفرد بين النظرية والتطبيق**، الطبعة الخامسة، جمعية عمال المطابع، التعاونية، عمان الأردن.

3. أبو دفّ والأغا، (2001)، **التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني ودور التربية في المواجهة**، المجلة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني.

4. يوسف محمد عبد الله، (دون سنة)، **الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته**، جامعة صنعاء.

5. ولد محي الدين نبيل، (2014)، **التراث الشعبي والوظيفة الاجتماعية للزواج**، مقال، ص 3.

6. محمد أحمد السامرائري، (د. سنة)، **العولمة السياسية ومخاطرها على العالم العربي**، الفكر السياسي العدد، 14، ص 118.

7. إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وآخرون، (دون سنة)، **المعجم الوسيط**، الجزء الثاني، تحقيق مجمع اللغة العربية.

8. محمود بايزيدي، ترجمة جان دوست، (2010)، **رسالة في عادات الأكراد وتقاليدهم**، (**الأعراس عند الأكراد**.)، مكتبة مؤمن قريش، الطبعة الأولى، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة.

9. ولاية المدية، **من ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة، شخصيات شرّفت مدينة المدية**.

10. أحمد عزت راجح، (1961)، **علم النفس الصناعي**، الطبعة الأولى، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة.

11. عثمان، محمد عثمان، (1999)، **تقليد الغرب أشكاله وعواقبه**، دار الرشيد، دمشق.

12. ملكة يوسف زِرار، (2000)، **موسوعة الزواج والعلاقة الزوجية في الإسلام**، الجزء الأول، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة.

13. أبو جلالة لمياء مصطفى، (2003)، **الدور التربوي لأعضاء التدريس الجامعي في مواجهة تحديات العولمة وسبل تطويره من وجهة نظرهم**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

14. فرحان إسحاق أحمد، (1999)، **مشكلات الشباب في ضوء الإسلام**، الطبعة السابعة، دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان، الأردن.

15. كمال بالخيري، (2003)، **تأخر سنّ زواج الجامعيين**، رسالة ماجستير، قسم علم اجتماع، جامعة باتنة.